أكبر خان

مأساة في فصل واحد ذي ثلاثة مناظر

شخصيات الرواية

الملك أكبر خان	الشاعر فيضي
مظفر خان ـ وزير مالية أكبر	دانايول ـ هندوسي أعوس
الفيلسوف أبو الفضل	صادوم ـ رئيس حراس الملك أكبر

أنديرا — حبيبة دانايول

المنظر الأول

(غرفة الحريم ينزل دانايول سلماً وهو يزوع أوض الغرفة جيئة وذهاباً بينما حبيبته إنديرا تحاول تهدئته)

دانايول – إذن أنت متعلّقة حتى يا إنديرا ، بل متعلّقة من تراث الآباء والأجداد ، بل من ديننا المقدس — أنت يا من كانت شعلة الوطنية تنبعث من ألفاظها النورانية المتأججة ، أنت يا من طالما نظر إليها بوذا من ملكوته بتشفف وفخر وتقديس ، — أنت ، أنت ....

إنديرا — كفى ، كفى ، يا دادا .... أكذا يتطاير الحديد الصلب حتى ليكاد باستمراره يفقد كيانه .... أبوذا يرى بوذا ، كما تقول ، وتنكرني أنت ... ؟

دانايول — ماذا يعجبك في هذا الدخيل ؟ إن الجمعية اعتمدت عليّ ، وأنا أعتمد عليك ... لست أنا الذي يعن أمة تضحية ، ولكني أضمن نجاح مؤامرتنا إذ تفشل .... ليست البطولة في الاقدام ، ولكن البطولة في النجاح .... أنت أعز عليّ من نفسي يا إنديرا ، ولكن وحي بوذا الذي أظل علينا بعد ابتهالنا الأخير لم يدع لحميتنا مناصاً من هذا القرار الحاسم .

(تبكي انديرا)

ما هذا البكاء يا ابنة الكنج ؟ أتحسبين أني من يعرّضك للمخاطر غافلاً ؟ لقد ابتهلت

ليلة أمس الى بوذا ليرشدني فأوحى اليّ أن أصمد عليك ، لانك شجاعة وزينة تملكين أعصابك فتطيعك ولا اطاعة لعبد سيده :

أنت لولاك ما خلقتُ ، فربي ... عالمٌ أنني بدونك لغوُ
يا نشيدي ، بل يا مزامير (بوذا) ... أيُّ حبر إذا بسوؤك حبرُ ؟
لا تخافي ... فلن يمسك ضرٌّ ... وسيبلو النجاح فجرٌ وصفوُ ؟

(تكفكف انديرا دمعها وتخف من بكائها)

إندرا — أنت واهم يا دانا ، فلم أكن يوماً بالجبانة طبعاً ، ولكنّ الحب جبانة ... إني لا أبالي بحياتي يا معبودي ، ولكني أخشى الفشل فأجني عليك وعلى قضيتي ... إن الحياة جميلة بك يا دانا ، ولا أريد أن أمت دونك ولا معك .... أطلب الحياة من أجلك — من أجلك وحدك يا حبيبي وتطاول علي أكبر خان بل قتله هو الموت المحقق لي ولك .

دانايول — هذا لن يكون وقد حلت ببوذا بيارك ....

انديرا — ولكنك لم تحلم بالحب مباركا هذه الجريمة ....

دانايول — أية « جريمة » يا انديرا .. ؟ إن هذا لهذيان منك بل كفر وتجديف ... أيكون القربان لبوذا جريمة ؟

انديرا — بوذا هو الحب ، والحب مكتوب على جبيني ، واسمه في الارض والسماء . انه لم يوح اليّ مرة بغير الرفق والتسامح يا دانا ...

دانايول — أجننت يا إنديرا ؟ .... ان أنفاس (أكبر) لتدنس هواء الوطن ، وظله ليدنس أرضه :

عارٌ على الوطن العظيم بأهله ... أن يرتضي حكامه الغرباء

أنسيت يا انديرا كيف يطأطىء كهنتنا الأجلاء الرؤوس له ، وكان الاولى به أن يتبارك بتقديم منزلتهم بل بلثم أقدامهم ؟ أرضيك هذه الجوامع تقام بدل هياكل (بوذا) النورانية . اذا تدنس أصل التربة فكل نبت دنس . أنت قديسة يا انديرا ، ومثلك مسؤول قبل الناس عن تطهير الوطن من هذا الدنس . ان النور — لا الظلمة — موكل بالنقاء والطهارة واذا غفلت الظلال ونامت فما يجوز للاشعة أن تنام ....

انديرا — تبارك بوذا في ملكوته !

داناپرا — وتباركت أنت من نورانيته وجماله ! . . . ليبق لك اتقانك دائماً قوة ورجاء إن (هارنوم) رئيس الحراس صديقي ، وسأوصيه بك خيراً ليمهد لك لقاء ذلك الطاغية اللعين فيتلقى من يدك الطاهرة القاضية . . . اعتمدي على (هارنوم) فانه يحبني ولا يخيب لي رجاء . أجل ، اعتمدي على (هارنوم) .

(تسمع طرقات على الباب فتنتفض اندرا خوفاً)

إندرا — (بصوت خافت) من ترى ؟ لقد كشفنا . لقد كشفنا .

(تتجدد الطرقات)

داناپول مؤنبا بصوت خافت ، تمالكي عن روعك .

داناپول — (بصوت مرتفع) من الطارق ؟

هارنوم — ألا تزال تحلم يا صاحبي ، أنفض الكرى من عينك فتعرف صديقك الحميم !

داناپول (مخاطباً اندرا بصوت خافت) هذا هارنوم فاطمئني !

(بصوت مرتفع مجيبا الطارق) — أهلاً بالحبيب الأعز . أدخل يا هارنوم فالابواب ليست إلاّ . .

(يدخل هارنوم)

هارنوم — سلام يا صديقي الأعز . ومن هذه الزهرة الفوّاحة ؟

داناپول — هذه خطيبتي إندرا .

هارنوم — يومي سعيد يا آنسة بلقائك .

إندرا — الحظ حظي أنا يا سيدي .

هارنوم — لماذا لا تخفض من صوتك يا صاحبي ؟ سمعت اسمي يردد على لسانك . فأية « مؤامرة » تريد أن تزج بي فيها ؟

اندرا (واجفة) — مؤامرة ؟ ! .

هارنوم (ضاحكا) هذا مزاحي يا آنستي مع صديق (دانا) ، فاني أعلم أنه لا يذكرني إلاّ بالخير .

داناپول — « مؤامرتي » يا أخي هي لصحي (اندرا) أن تقصدك لتمهد لها لقاء جلالة الملك .

هارتوم — وهل لديها خلامة ؟

دانابول — نعم ، ولكنها خلامة صغيرة ، لا خاصة بها وحدها .

هارتوم — وهل لي أن أعرف ما هي ، فقد أوفر عليها العناء وأحفق لها بغيتها من أصوات السبل .

انديرا — إن شكواي خاصة بالخدمة العامة الواجبة لربنا (بوذا) تبارك وتعالى !

دانابول وهارتوم (في وقت واحد) — تبارك وتعالى !

انديرا — ولذلك أوثر احتراماً للرب المقدس أن أحتفظ بسر مهمتي حتى أتشرف بالمثول بين يدي جلالة الملك .

هارتوم — كما تشائين يا آنستي ! كل ما عليك إذن الحضور الى مكتبي في القصر الملكي عند الغروب فتشرق شمسك فيه . ولا ريب أن جلالة الملك سيبهره حسنك الفريد

إنديرا — هذا تلطف منك يا سيدي كما يشفق الندى على العشب .

هارتوم — بل هو تلطف الزهرة التي تضيف الندى .

إنديرا (وهي تهم بالخروج) — استأذن للانصراف حتى أستريح وأهيء أعصابي لمهمتي الخطيرة في هذا المساء .

دانابول وهارتوم (في وقت واحد) — على بركة (بوذا) وفي حفظه .

(ينتهي المنظر الاول وهي خارجة)

٥

المنظر الثاني

تكتب هارتوم وقيس حراس الملك أكبر عند مدخل القصر الملكي وقد جلس معه صديقه مظفر خان وزير المالية وهما يتحدثان في شؤون الدولة

هارتوم — هذا — لا ريب — نبأ سار .

مظفر خان — (ملتفتاً نحو الباب) من هذه الحسناء الواقفة بالباب ؟

هارتوم — هذه خطيبة صديق عزيز ، ولها حاجة عند صاحب الجلالة . وإني

لأستأذنك يا صديقي في دخولها .

مظفر خان — بكل ترحيب

هارنوم — أدخلي يا إندرا واستريحي معنا قليلاً

إندرا — شكراً يا سيدي !

هارنوم — مالك منطربة يا إندرا ؟ ! . إن جلالة الملك آية في التواضع وسعة شعبه فلا تتهيبي لقاءه ، وستحبين من صديقي صاحب السعادة مظفر خان وزير المالية آيات من عظمة جلالته ، فقد كان يحدثني عن ذلك منذ لحظة .

مظفر خان — نعم ، نعم . إن مولاي صاحب الجلالة يقصر مجلسه على العاملين النافعين من وزراء وغيرهم ، ويقرب إليه أهل العلم والأدب ، وحديثه متعة الألباب لأنه ينمّ عن ذكاء خارق وخبرة فاضحة . وهو أبعد الناس عن الأنانية وعن الملذات الرخيصة ، وحتى طعامه مقصور على وجبة في اليوم . ويكفي برهاناً على ذهنه الوقاد اختراعه البندقية ألبوبة الحديد التي لا تنفجر . أما سياسته الحكيمة فهي غنية عن التعريف .

إندرا — لقد شرفت يا سيدي بالاستماع الى حديثك ، وأنا لا أفهم شيئاً في السياسة مطلقاً ، فهل تسمح لي رغماً عن قصوري وعجزي أن أسألك ما الذي صنعه جلالة الملك المسلم لرعاياه الهندوس ، ثم أية حرمة أسبغت ترعى لبوذا تباركه وتعالى ؟

مظفر خان — في مقدمة ما أمر مولاي الملك يا بنيتي نحو طائفتك الكبيرة أنه ألغى الجزية عن الهندوس وقد تشبث بها سابقوه ، ومنع زواج الأطفال واشترط رضى الزوجة والزوج لصحة الزواج ، وحرّم حرق الأرامل وأباح زواجهن ، واحترم عقائد الناس جميعاً ، وأنشأ بيت الحكمة الذي يجتمع فيه أئمة الدين جميعاً وفي مقدمتهم أئمة البوذية . أما ما صنعه للمملكة عامة فأمنه على الحرية الشخصية حتى مع المتهم الذي يحقق معه ، فقد حرم تعذيبه للاعتراف . وبلغ من حب مولاي الملك العدالة أنه أمر بتعليق الناقوس المشهور أمام القصر فيدقه أي متظلم فيستقبله جلالته بنفسه ، وينظر في شكواه فوراً . وهكذا ترين أنك في غنى عن وساطة هارنوم ، أو وساطتي ، أو وساطة أي كائن عدا هذا الجرس ، إذا شئت التظلم الى مولانا الملك . فما هي ظلامتك ؟

هارنوم — تقول إنها لا تخصها بل تخص الهندوس عامة ، أو على الأصح تخص معبودها (بوذا) . هذا ما فهمته منها . كذلك فهمت أنها تحتفظ بسر ظلامتها حتى تعرضها

على جلالة الملك

مظفر خان — إن مولانا الملك يحترم تعاليم (بوذا) كما تدل على ذلك مناقشات (دار الحكمة) وقد أزال جميع الفوارق بين الهندوس والمسلمين حتى في الضرائب ، وفتح الملكية الزراعية للفلاحين ومعظمهم من أتباع (بوذا) وأبى ألا أن ترفع الشكاوى الى جلالته رأساً . ومبدؤه أن تحكم الهند لمصلحة الهند ، وأن ترعى مصلحة الشعب أولاً وأخيراً باعتبار أن الحكومة أداة لمشيئة الشعب نفسه . ويوسفي مدير بيت المال أعرف كل هذا معرفة اليقين . فهل لا تزال في ضميرك شكوى بعد هذا البيان ؟

إندرا — (في مزيج من الخجل) يا سيدي إن بنفسي شكوى خطيرة زادها هذا البيان اشتعالاً ، كما زادني طاقة على احتمالها . ولا بدّ لي من دفعها للملك !

مظفر خان — كما تشائين يا بنيتي ، وذلك أن تستدعي هارتوم إن أردت .

إندرا — لست بحاجة إلى هارتوم الآن !

مظفر خان إذن أشير عليك بالانتظار برهة فان بحضرة جلالته الفيلسوف العالم أبا الفضل رئيس (بيت الحكمة) ، وكذلك الشاعر الكبير فيضي ، وهذا وقت راحة لجلالته بعد انكبابه طول النهار على العمل لخير الشعب وحده ، على الرغم من كثرة وزرائه .

اندرا — سأنتظر ، فالانتظار صديق الانسان إذا لم يعقبه التحذير فالموت . وسأترك لك يا سيدي تحديد « برهة » الانتظار .

نعم سأنتظر ، فقد عاش قومي على الانتظار !

(انتهى المنظر الثاني ويليه المنظر الثالث)

المنظر الثالث

في بهو الاستقبال بقصر الملك وقد وقف الشاعر فيضي يتحدث بين يدي الملك أكبر وجلس بجانبه الفيلسوف أبو الفضل

الشاعر فيضي — قد ملكت القلوب بالعدل فينا أين هذا من حكم جات وجان

(متابعاً انشاده) « والمساواة لم تكن قبل إلا نزوة ، تافتدت حل الأديان

رضي الله والنبيون جمعاً كرضى العلم والحجا والبيان

ما نشيدي حين الطبيعة غنت بالمعاني وعبّرت عن جناني؟
حين روح السلام والحب شكرا ن هنيٌّ ، وخالد في الزمان ؟

(يسمع قرع ناقوس ، فيتوقف الشاعر عن الانشاد)

الملك أكبر — اصبح يا (أبا الفضل) الشاكي بالمثول ، ولو أذ انوقت ليل .

أبو الفضل — سمعاً وطاعة يا مولاي . كدت أقول لأخي فيظي : « أحسنت وقصرت في آن » ، وها هي مناجاتك يا مولاي تزيد حكمي ، فقد جددت عهد الفاروق كما أصغوحيث روح الرسول الكريم .

(يتجه أبو الفضل الى باب القصر لتبين الشاكي)

الملك أكبر — أحسنت بفنك يا (فيظي) ، ويا ليتني أنجح في تحقيق ما تصبو إليه فاستحق حينئذ ثناءك . سنستمع الى قصيدتك كاملة في (دار الحكمة) حيث يوجد ملوك الفن والكلام ، وحيث أكون من رعاياهم .

الشاعر فيظي — عفواً يا مولاي ، وان يكن تواضعك حلية تاجك الوضاء !

أبو الفضل — هذه فتاة تلتمس يا مولاي المثول بين يديك !

الملك أكبر — تقدمي يا بنيّة !

(تتقدم الدير ا نحو الملك واجفة ، ويسمع صوت تجريد مديتها)

أبو الفضل وفيظي — (صارخين ، هاجمين عليها) — أجنونة أنت !

الملك أكبر — دعاها تطعني إذا شاءت ، فأني لأرتضي أن أكون قرباناً لسنان جلسها بعد أن حررتهن لأول مرة في التاريخ !

انديرا — لن أمس الملك الصالح العادل بسوء ، وإنما أضع هذه المدية عند قدميه وأقبله رمزاً لتكفيري وايماني . . . . وإني حينما أضع هذه المدية أضحي بأغلى شيء لنفسي وهو الحب وأحكم على نفسي بالفناء .

الملك أكبر — انهضي يا بنيتي ! فقد حكمت لنفسك بالحياة ، وحكمت لأمتك بالخلود . إني لن أسألك أي سؤال ، وأحمد الله على أن المرأة في أمتي هي رسولة الايمان بعد الكفران ، والأمينة على الاصلاح والحرية . (انهضي يا بنيتي انهضي) !

[تمت الدرامة]